ولهذا يفرح بتوبة عبده فرحا عظيما مع غناه المطلق عن طاعات عباده وان نفعها انما يعود اليهم ولكن هذا
من كمال رأفته ومحبته لنفعهم ودفع ضررهم وما اقتضاه ظاهر الحديث ان لضره او نفعه غاية لكن لا يبلغها العباد
منزول يجادل عليه الاجماع والبرهان من غناه المطلق او من باب على لاحب اي طريق لا يهتدي لمناره اي لا منار له
فيهتدي به فالمعنى هنا لا يتعلق بي ضرر ولا نفع فيضروني او ينفعوني لانه تعالى غني مطلق والعبد فقير مطلق
يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والفقير المطلق لا يملك ضرا ولا نفعا خصوصا للغني المطلق يا عبادي لو ان
اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا
يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد
منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا لانه مرتبط بقدرته وارادته وهما دائمان لا انقطاع لهما فكذا ما ارتبط بهما
وانما غاية التقوى والفجور عود نفع او ضر على اهلها وفي ذلك كله اشارة الى ان ملكه تعالى على غاية الكمال لا يزيد
بطاعة جميع الخلق وكونهم على اكمل صفة البر والتقوى ولا ينقص بمعصيتهم لانه تعالى الغني المطلق في ذاته
وصفاته وافعاله فملكه كامل لا نقص فيه بوجه بل لا يتصور وجود اكمل منه على ما اشار اليه حجة الاسلام
الغزالي قدس الله روحه بقوله ليس في الامكان ابدع مما كان اي ثم تعلقت القدرة الباهرة بايجاده
على اكمل الاحوال واتقنها وابدعها وما فيه من الشر فهو اضافي بالنسبة لبعض الاشياء وليس شرا مطلقا
بحيث يكون عدمه خيرا منه وجوده بل وجوده مع ذلك خير من عدمه ويصح ان يراد هذا من خبر والشر
ليس اليك اي الشر المحض الذي عدمه خير منه وجوده ليس موجودا في ملكك يا عبادي لو ان اولكم
واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد اي ارض واحدة ومقام واحد فسألوني فاعطيت
كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط هو بكسر فسكون ففتح الابرة اذا ادخل
البحر اي وهو مرأى العين لا ينقص من البحر شيئا فكذلك الاعطاء من الخزائن الالهية لا ينقصها
شيئا البتة اذ لا نهاية لها والنقص مما لا يتناهى محال بخلاف ما يتناهى كالبحر وان جل وعظم وكان اكبر
المرئيات في الارض بل قد يوجد العطاء الكثير المتناهي ولا ينقصه كالنار والقلم يقتبس منهما ما شاء الله ولا ينقص
منهما شيء بل قد يزيد العلم على الاعطاء فعلم ان قوله هنا الا كما الخ وقول الخضر لموسى صلى الله على نبينا وعليهما
الصلاة والسلام ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما ينقص هذا العصفور الذي رأياه ينقر من هذا البحر
وزعم بعضهم تباين هذين وان العصفور ينقص منه بخلاف المخيط اذا ادخل فيه ممنوع اذ لا ابرة اذا
ادخلت في الماء يتعلق بها منه شيء وان لطف وانكار ذلك غباوة ظاهرة ليس المراد بهما حقيقتهما
وانما كل منهما مثل تقريبي للافهام لتعلم منه انه لا نقص في تلك الخزائن ولا في علم الله تعالى البتة

لاعدم

لا لعدم نقص ما البحر من عود المخيط ونقرة العصفور فالجامع بين ادخال المخيط في البحر والاعطاء
من تلك الخزائن عدم النقص من حيث المشاهدة الصورية فيهما وان افترقا في انا اذا نظرنا اليهما
بعين الحقيقة وجدنا البحر ينقص بهذا الشيء القليل المأخوذ منه الذي لا يكاد يدرك وتلك الخزائن
لا تنقص شيئا مما افاضه تعالى منها من حين خلق السموات والارض الى انقضاء هذا العالم ثم من حين بعثه
الى ما لا نهاية له لما تقرر من استحالة نقص ما لا نهاية له ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
يمين الله اي عطاؤه وافاضته على عباده من تلك الخزائن سحاء الليل والنهار اي دائمة فيهما
لا يغيضها ولا ينقصها شيء ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض لم ينقص ما في يمينه اي لم
ينقص شيئا مما في خزائن قدرته لان عطاءه بين الكاف والنون انما امره اذا اراد شيئا اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون وحديث ابن ماجه الاتي قريبا صريح بهذه العلة وليس المراد
ان هناك قولا يتوقف عليه الايجاد وانما هو كناية عن وجوده في اسرع وقت عقب تعلق الارادة
به فعبر عن تلك السرعة بزمن كن اذ لا يمكن اقل منه في العقول فقدرته تعالى صالحة للايجاد
انما لا يعتريها عجز ولا قصور ولا ملل ولا فتور وحكمة ضرب المثل بما ذكر انه غاية ما يضرب به مثل
في القلة اذ البحر اعظم ما يعاين والابرة من اصغر مع انها صقيلة لا يتعلق بها ماء الا ما لا يكاد
ادراكه كما مر وفي هذا تنبيه اي تنبيه للخلق على ادامتهم لسؤاله تعالى مع اعظام الرغبة
وتوسيع المسألة فلا يختص سائل ولا يقتصر طالب لما تقرر ان خزائن الرحمة سحاء الليل والنهار
لا يغيضها الا عطاء وان جل وعظم وقيل ان ذلك اشارة للنعمة المخلوقة وهي يتصور فيها
النقص كالبحر ونقص استعمل لازما لنقص المال ومتعديا كما هنا اذ مفعول الماضي والمضارع
محذوف بدليل السياق يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها اي اضبطها لكم بعلمي وملائكتي
الحفظة واجتنبوا لهم صحف لا ينقصه عن الاحصاء بل ليكونوا شهداء بين الخالق وخلقه وقد
تضم اليهم شهادة الاعضاء زيادة في كمه كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا لا يقال قضيته انما
انحصار فائدة الناس في اعمالهم في ثواب اعمالهم ونفي المزيد مع ثبوت الرضى بالاجماع به
في نحو ولدينا مزيد للذين احسنوا الحسنى وزيادة لانا نقول الحصر انما هو بالنسبة لجزاء
الاعمال اي لا جزاء ينقسم الى الخير وغيره الا عن عمل يكون سببا له واما المزيد فهو على ذلك
لم يتعرض لها بنفي ولا اثبات وقد صحت فيها نصوص اخرى لا معارض لها فوجب الاخذ بها
ثم اوفيكم اياها اي جزاءها في الاخرة على حد وانما توفون اجوركم يوم القيامة فلما حذف

Copyright © King Saud University